

حياة أعظم الرسل

محمد في طريقه إلى المدينة

محمّد في طريقه إلى المدينة

مَكَثَ مُحَمَّدٌ وَصَدِيقُهُ أَبُو بَكْرٍ ثَلَاثَةَ
أَيَّامٍ فِي غَارِ ثَوْرٍ ، وَقَدْ رَجَعَ الْأَعْدَاءُ
الَّذِينَ كَانُوا يَبْحَثُونَ عَنْهُ . وَبَكَى أَبُو بَكْرٍ
مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ ، وَتَأَكَّدَ الْآنَ أَنَّ حَيَاةَ
الرَّسُولِ قَدْ زَالَ عَنْهَا الْخَطَرُ . وَسَجَدَ
الْمُصْطَفَى شُكْرًا لِلَّهِ . وَقَدْ اعْتَادَ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَذْهَبَ لَهُمَا كُلَّ لَيْلَةٍ
سِرًّا ، وَيُخْبِرُهُمَا بِأَخْبَارِ مَكَّةَ . وَاعْتَادَتِ
أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ أَنْ تَأْخُذَ الطَّعَامَ لَهُمَا

مُدَّةً وَجُودِهِمَا فِي الْغَارِ . وَفِي الْيَوْمِ
الرَّابِعِ أَخْبَرَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بِأَنَّ الْبَحْثَ
عَنْهُمَا قَدْ قَلَّ . فَعَزَمَا عَلَى أَنْ يَتْرُكََا الْغَارَ
تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَيَتَوَجَّهَا إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَيَتَّبِعَا
الطَّرِيقَ الَّذِي لَا يُسْتَعْمَلُ كَثِيرًا ، حَتَّى
لَا يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ أَنْ يَرَاهُمَا .

سَمِعَ سُرَّاقَةُ بْنُ مَالِكٍ مِنْ أَحَدِ الْبَدُوِّ
أَنَّ ثَلَاثَةً قَابَلُوهُ فِي الطَّرِيقِ إِلَى الْمَدِينَةِ ،
وَلَمَّا سَأَلَهُ عَنْ أَوْصَافِهِمْ عَرَفَ فِيهِمْ
مُحَمَّدًا وَصَاحِبَهُ . فَطَمَعَ فِي الْجَائِزَةِ ثُمَّ
أَخَذَ فَرَسَهُ وَسِلَاحَهُ ، وَاتَّبَعَ أَثَرَ رَسُولِ

اللَّهُ ، وَوَقَعَ بِهِ فَرَسُهُ فِي الطَّرِيقِ عِدَّةَ
مَرَّاتٍ . وَلَمْ يَمْنَعَهُ ذَلِكَ عَنْ مُتَابَعَةِ
الرَّسُولِ حَتَّى لَحِقَهُمْ . وَرَأَاهُمْ فَوَقَعَ بِهِ
فَرَسُهُ ، وَسَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ سُرَاقَةً .
فَخَافَ خَوْفًا شَدِيدًا ، وَمَلَأَ الْخَوْفُ
قَلْبَهُ . وَأَخَذَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ ، وَيَرْجُو
مِنْهُمْ الْأَمَانَ ، وَيَقُولُ : وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ
مِنْنِي أَيْ شَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ . إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكُمْ
قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ ، فَادْعُوا لِي ، حَتَّى
أَنْجُو . وَلَكُمْمَا عَلَيَّ أَنْ أَرُدَّ النَّاسَ
عَنْكُمْ ، وَلَا أَضُرَّكُمْ . وَقَدْ تَأَكَّدَ سُرَاقَةً

أَنَّ اللَّهَ قَدْ انتَقَمَ مِنْهُ مِنْ أَجْلِ مُحَمَّدٍ .
وَاعْتَقَدَ أَنَّهُ تَقِيٌّ صَالِحٌ . وَسَيَنْجَحُ فِي أَدَاءِ
رِسَالَتِهِ . فَوَقَفَ الرَّسُولُ وَأَبُو بَكْرٍ لَهُ .
وَقَالَ الرَّسُولُ لِأَبِي بَكْرٍ : قُلْ لَهُ :
وَمَا الَّذِي تَطْلُبُهُ مِنَّا ؟

قَالَ : تَكْتُبُ لِي كِتَابًا يَكُونُ عَلَامَةً
بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، وَتَعْفُو عَنِّي . فَعَفَا عَنْهُ
الرَّسُولُ وَأَلْقَى إِلَيْهِ كِتَابًا ، فَأَخَذَهُ ،
وَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ ، وَلَمْ يَذْكُرْ شَيْئًا عَنِ
الرَّسُولِ وَأَبِي بَكْرٍ لِمُدَّةِ ثَلَاثِ لَيَالٍ . ثُمَّ
أَخْبَرَ الْكُفَّارَ بِمَا حَدَّثَ لَهُ . فَلَامَهُ



وَقَعَ سَرَاقَةٌ وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْحِصَانُ أَنْ يَقُومَ

أَبُو جَهْلٍ حِينَ رَجَعَ وَلَمْ يَقْبِضْ عَلَى
مُحَمَّدٍ .

الرَّسُولُ يَمُرُّ بِأُمِّ مَعْبِدٍ :

وَفِي أَثْنَاءِ الْهَجْرَةِ كَانُوا يَخْتَفُونَ
نَهَارًا ، وَيَرْكَبُونَ لَيْلًا ، وَيَسِيرُونَ فِي
طَرِيقٍ مَهْجُورٍ . وَقَدْ مَرَّ الْمُصْطَفَى وَمَنْ
مَعَهُ بِخِيْمَةِ أُمِّ مَعْبِدٍ . وَكَانُوا فِي شِدَّةِ
الْجُوعِ . وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهَا إِلَّا نَعْجَةٌ
هَزِيلَةٌ ، لَيْسَ فِيهَا أَى لَبَنٍ . فَاسْتَأْذَنَهَا
الرَّسُولُ فِي أَنْ يَحْلُبَهَا . فَأَذْنَتْ لَهُ .

فَحَلَبَهَا وَكَثُرَ لَبْنُهَا ، وَشَرِبُوا جَمِيعًا أَكْثَرَ
مِنْ مَرَّةٍ بَيْرَكَةِ الْمُصْطَفَى .

وَمَكَثَ أَهْلُ أَبِي بَكْرٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ
لَا يَعْلَمُونَ أَيْنَ ذَهَبَ ، حَتَّى سَمِعُوا رَجُلًا
يَتَغَنَّى بِأَبْيَاتٍ ، وَالنَّاسُ يَسِيرُونَ وَرَاءَهُ
إِلَى أَعْلَى مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ :

جَزَى اللَّهُ رَبَّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ
رَفِيقَيْنِ حَلَا^(١) خِيَمَتِي أُمِّ مَعْبَدٍ

فَعَلِمُوا وَجْهَةَ الرَّسُولِ فِي هِجْرَتِهِ مَعَ

(١) تَزَلَا .

أَبِي بَكْرٍ ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ . وَسَمِعَتْ قُرَيْشُ
ذَلِكَ الْغِنَاءِ ، فَأَرْسَلُوا إِلَى أُمِّ مَعْبِدٍ ، وَهِيَ
بَخِيمَتِهَا ، فَسَأَلُوهَا : هَلْ مَرَّ بِكَ مُحَمَّدٌ
الَّذِي مِنْ صِفَتِهِ كَذَا ؟

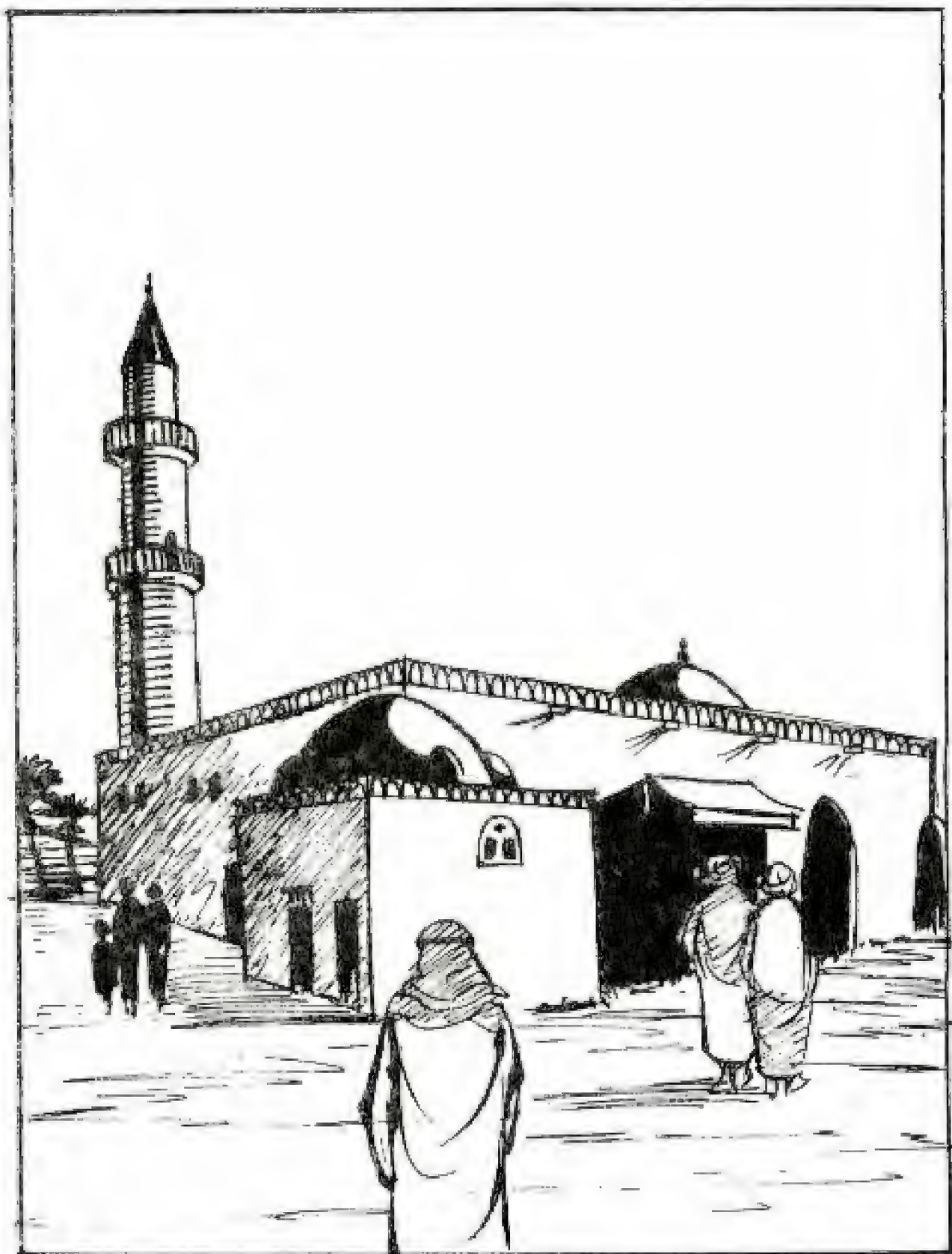
فَقَالَتْ : لَا أَدْرِي مَا تَقُولُونَ . وَإِنَّمَا
جَاءَنِي ضَيْفٌ حَلَبَ الشَّاةَ الضَّعِيفَةَ .

أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَنْتَظِرُونَ مَجِيءَ الرَّسُولِ :
سَارَ النَّبِيُّ ﷺ وَصَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ ،
وَالْمُرْشِدُ لَهُمَا حَتَّى رَأَوْا أَشْجَارَ النَّخِيلِ ،
وَالْحَشَائِشَ ، وَالْمِيَاءَ ، وَوَصَلُوا إِلَى

مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَدِينَةِ يُسَمَّى قُبَاءً^(١) ،
بَعْدَ أَنْ مَكَثُوا سِتَّةَ أَيَّامٍ فِي رِحْلَتِهِمْ .
نَزَلُوا فِي قُبَاءٍ ، وَاسْتَرَاخُوا تَحْتَ ظِلِّ
أَشْجَارِ النَّخِيلِ ، وَشَكَرُوا لِلَّهِ مُسَاعِدَتَهُمْ
فِي الْوُصُولِ إِلَى هُنَاكَ سَالِمِينَ .
وَكَانَ أَهْلُ مَكَّةَ لَا يَزَالُونَ يَبْحَثُونَ عَنْ
مُحَمَّدٍ لِقَتْلِهِ ، وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ يَبْحَثُونَ عَنْهُ
لِلتَّرْحِيبِ بِهِ ، وَالْإِحْتِفَالِ بِمَجِيئِهِ . وَفِي
كُلِّ يَوْمٍ يُرْسِلُونَ رَجَالًا لِمُرَاقَبَةِ الطَّرِيقِ ،

(١) مَوْضِعٌ بِالْحِجَازِ يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ .

وَانْتَظَارِ مُحَمَّدٍ عِنْدَ وُصُولِهِ ؛ فَقَدْ سَمِعُوا
 أَنَّهُ تَرَكَ مَكَّةَ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ
 مَكَثَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي غَارِ ثَوْرٍ . وَلِهَذَا
 قَلِقُوا عَلَى الرَّسُولِ ؛ لِأَنَّهُ تَأَخَّرَ فِي
 الْوُصُولِ أَيَّامًا . ثُمَّ وَصَلَتِ الْأَخْبَارُ إِلَى
 الْمَدِينَةِ بِأَنَّ مُحَمَّدًا الْعَظِيمَ قَدْ وَصَلَ إِلَى
 قُبَاءٍ آمِنًا بِحَمْدِ اللَّهِ . وَقَدْ نَادَى أَحَدُ
 الْيَهُودِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : أَيُّهَا الْعَرَبُ ، هَذَا
 حَظُّكُمْ الَّذِي تَنْتَظِرُونَهُ قَدْ جَاءَ . فَأَخَذُوا
 أَسْلِحَتَهُمْ ، وَذَهَبُوا جَمَاعَاتٍ جَمَاعَاتٍ
 لِلتَّرْحِيبِ بِالرَّسُولِ ، وَتَهْنِئَتِهِ بِسَلَامَةٍ



مَسْجِدُ قُبَاءٍ بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَدِينَةِ

الْوُصُولِ . وَقَدْ نَزَلَ الرَّسُولُ بِقُبَاءٍ عَلَى بَنِي
عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ مِنْ رَبِيعِ
الْأَوَّلِ ، الْمُوَافِقِ ٢٠ مِنْ سِبْتَمْبَرِ سَنَةِ ٦٢٢
مِيلَادِيَّةٍ . وَمَكَثَ بِهَا أَيَّامًا مُنْتَظِرًا وَصُولَ
عَلِيِّ ابْنِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ .

وَأَوَّلُ عَمَلٍ قَامَ بِهِ فِي قُبَاءٍ هُوَ بِنَاءُ مَسْجِدٍ
فِيهَا . وَقَدْ اشْتَرَكَ فِي بِنَائِهِ بِأَقْصَى جُهِدِهِ ،
وَعَمِلَ كَأَيِّ رَجُلٍ مِنَ الرِّجَالِ . وَهُوَ أَوَّلُ
مَسْجِدٍ بُنِيَ فِي الْإِسْلَامِ . وَقَدْ وَصَفَهُ اللَّهُ فِي
سُورَةِ التَّوْبَةِ بِقَوْلِهِ : ﴿ لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى
التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ

رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا^(١) ، وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُطَهَّرِينَ^(٢) ﴿٢٠﴾ . وَفِي هَذَا الْمَسْجِدِ أَدَّى
الْمُسْلِمُونَ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ ، وَفِيهِ
كَانَتْ الْخُطْبَةُ الْأُولَى مِنْ خُطَبِ يَوْمِ
الْجُمُعَةِ . وَقَدْ صَلَّى الْمُسْلِمُونَ فِيهِ وَهُمْ
آمِنُونَ مُطْمَئِنُّونَ ، وَلَمْ يَخَافُوا أَحَدًا مِنَ
الْمُسْتَهْزِئِينَ أَوِ الْمُعْتَدِينَ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ .
وَقَدْ أَحْسَّ الرَّسُولُ الْآنَ بِالْحُرِّيَّةِ ، وَحَمِدَ
اللَّهُ ، وَشَكَرَ لَهُ . وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَتَنَفَّسَ هَوَاءَ
الْحُرِّيَّةِ وَالْأَمَانِ وَالسَّلَامِ .

(٢) آيَةٌ : ١٠٨ مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ .

(١) يَبَالِغُوا فِي الطَّهَارَةِ .

وَبَعْدَ أَنْ اسْتَرَّاحَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ ،
 رَكِبُوا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَامْتَلَأَتْ بِالْأَفْرَاحِ .
 وَكَانَ هَذَا الْيَوْمُ عِيدًا عِنْدَهُمْ . وَأَرَادَتْ كُلُّ
 قَبِيلَةٍ فِي الْمَدِينَةِ أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ ضَيْفَهَا ،
 وَلَكِنَّ النَّبِيَّ النَّبِيلَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَمَسَّ إِحْسَاسَ
 أَحَدٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ : (أَتْرَكُوا لِلنَّاقَةِ
 الْحُرِّيَّةَ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ) . فَسَارَتْ النَّاقَةُ فِي
 كَثِيرٍ مِنَ الطُّرُقِ ، وَفِي النَّهَائَةِ وَقَفَتْ عِنْدَ
 دِيَارِ بَنِي النَّجَّارِ ، وَهُمْ أَخْوَالُ أَبِيهِ ، وَبَرَكَتْ
 أَمَامَ دَارِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ .
 فَنَزَلَ الرَّسُولُ ، وَفَرِحَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ

بَحْضُورِ النَّبِيِّ فَرَحًا كَثِيرًا ، وَصَعِدَتِ النِّسَاءُ
 عَلَى سَطُوحِ الْبُيُوتِ عِنْدَ مَجِيئِهِ يَقْلَنَ :
 طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوُدَاعِ
 وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعِ
 أَيُّهَا الْمَبْعُوثُ فِينَا جِئْتَ بِالْأَمْرِ الْمُطَاعِ
 وَتَفَرَّقَ غِلْمَانُ (أَوْلَادُ) الْمَدِينَةِ
 يُنَادُونَ : جَاءَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ . وَكَانَ
 عُمُرُهُ ٥٣ سَنَةً .

وَقَدْ بَالَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فِي إِكْرَامِ الرَّسُولِ
 وَالْمُهَاجِرِينَ ، وَنَصَرُوهُ وَسَاعَدُوهُ
 وَعَاوَنُوهُ ، وَلِهَذَا سُمُّوا بِالْأَنْصَارِ ، وَسُمِّيَ
 مَنْ جَاءُوا إِلَيْهِم بِالْمُهَاجِرِينَ . وَقَدْ اسْتَمَرَ

النَّبِيُّ فِي بَيْتِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ سَبْعَةَ
أَشْهُرٍ . وَبَنَى مَسْجِدَهُ فِي الْمَدِينَةِ ، وَاشْتَغَلَ
جَنْبًا لَجَنْبٍ بِكُلِّ قَوَّتِهِ مَعَ أَصْحَابِهِ لِيُرِيَهُمْ أَنَّهُ
إِنْسَانٌ مِثْلُهُمْ ، وَأَنَّ الْعَمَلَ شَرَفٌ . وَبِالْقُرْبِ
مِنْ مَسْجِدِهِ بَنَى بَيْتًا لِأَسْرَتِهِ ، وَاسْتِرَاحَةً
لِفُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ . وَقَدِمَتْ زَوْجَاتُهُ وَابْنَتَاهُ
فَاطِمَةُ وَأُمُّ كُلْثُومٍ لِيَعِيشُوا مَعَهُ فِي الْمَدِينَةِ .
وَتَلَا حَقَّ قُدُومِ الْكَثِيرِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ .
وَكَانَ هَذَا الْيَوْمُ ابْتِدَاءَ عَصْرِ جَدِيدٍ لِلْإِسْلَامِ
وَلِلْمُسْلِمِينَ .